التخلص من حقوق الآخرين

فضيلة الشيخ

علي بن أحمد الزبيحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنّ الحمد لله ، نحمده -سُبْحَانَهُ- ونستعينه ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ النساء: ١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ آل عمران: ١٠٢

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أمّا بعد : فإنّ خير الكلام كلام الله -تَعَالَىٰ- ، و خير الهدي هدي محمّدٍ -صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ الأنعام: ١٣٤

عباد الله ، أخرج الإمام مسلم –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ– في صحيحه عن أبي هريرة –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أنّ النّبيّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ– قال : « لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقرناءِ » [1] هذا القول يا عباد هو فيما بين بني آدم ، و فيما بين البهائم ، و الوحوش ، و الطّيور ، و الإنس ، و الجن كافّة ، و ذلك الأمر يكون بين يدي الله –رَبّ الْعَالَمِيْنَ– يوم يقوم النّاس –لرَبّ الْعَالَمِيْنَ– و تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تودّ لو أن بينها و بينه أمداً بعيداً ، ففي تلك الحال يحصل القَوَدْ و القصاص ، و الفصل ، و المحاكمة الرّبانيّة بين العباد أجمعين ، والوعيد في ذلك أدلّته كثيرة ، و آثاره متوفّرة ، و منثورة في كتب السنّة و القرآن الكريم لكنّ من لطف الله بنا ، ورحمته بنا إذ علم ضعفنا و علم أنّا لا نسلم من ذنب ، و علم أنّا لا نسلم من مقارفة الخطيئات إذ أنّه –جَلَّ ثَنَاءُهُ– قدّر علينا ذلك ففي الصّحيحين عن أبي هريرة –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أنّ النّبيّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ– قال : « وَالّذِي نَفسِي بِيَدِه لَو لَم تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ثُمَّ لَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ ثُمَّ يَستَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » [2] هذا قد يكون فيما بين العبد و بين ربّه فإنّ الله غفور رحيم بل هو –جَلَّ ثَنَاءُهُ– أرحم الرّاحمين فقد يغفر الله للعبد ، و يعفو الله عن العبد مهما بلغت ذنوبه و كثرت . يقول الله –جَلَّ وَعَلَا– في الحديث القدسي : (يَا بْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَ رَجَوْتَنِي ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيئًا فَلَو جِئْتَنِي بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا لَجِئْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَة) [3] نعم عباد الله ، فربّنا غفور رّحيم .

أخرج الإمام البخاريّ عن بن عمر –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قال : يدنو الله –جَلَّ وَعَلَا– من العبد يوم القيامة فيستره الله بكنفه عن خلقه فيستره الله بكنفه ، ثمّ يقرّره بذنوبه « عَبْدِي

1- مسلم (1297)
2- صحيح الجامع (5301)
3- الصحيحة (127)

أَتَذْكُرُ أَنَّكَ فَعَلْتَ كَذَا ، وفَعلْتَ كَذَا ، وَفَعَلتَ كَذَا » [4] فيقول : نعم يا ربّ ، فيقول الله بلطفه و رحمته : « قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيكَ فِي الدُّنْيا ، وأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ » و في صحيح مسلم عن أبي ذرّ –رَضِيَ الله عَنْهُ– : إنّ الله –جَلَّ وَعَلَا– يأمر بعرض ذنوب العبد عليه في أرض المحشر فتعرض عليه صغار ذنوبه فيراها كثيرة فيظنّ أنّه عند ذلك سيهلك ، فلمّا رأى الأمر كذلك قال : فيقول الله : « أَتُنْكِرُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ » فيقول : لا يا ربّ فيقول الله –جَلَّ وَعَلَا– : « قَدْ غَفَرْتُهَا لَكَ » في الحديث قال : فيرى ذنوبه و هي الصّغار و تخفى عليه كبارها فلمّا رأى الصّغار و ظنّ أنها ستهلكه خاف في نفسه كيف بالكبار ؟ فعند ذلك يقول الله : « قَدْ غفَرْتُهَا لَكَ و أَبدَلْتُكَ بِكُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةَ » فعندها العبد يقول : ياربّ بقي لي ذنوب ما رأيتها –طمع أن يكون له ذنوب أخرى تظهر لأنّ رحمة الله واسعة– قال : فضحك النّبيّ –صَلَّىٰ الله عَلَيهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ– حتّى بدت نواجذه يعني من طمع بن آدم في المغفرة ، ومن سعة رحمة الله و فضل الله ، و جود الله ، على عبده الموحّد فالله غفور رّحيم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ النساء: ٤٨

لكن ، إنّ الحقوق الثّلاثة في الدّماء ، و الأموال ، و الأعراض تأتي عند أقوام أشحّاء في الدّنيا ، بخلاء في الدّنيا ، أمّا الآخرة فالبخل أعظم فالعبد يظنّ الحسنة هذه التي عنده سيتوصّل بها إلى الجنّة ، و سيحجب بها من النّار فعند ذلك لا يسمح ، و لا يتنازل أبداً .

أخرج الإمام الطّبريّ و غيره من طريق زادان عن عبد الله بن مسعود –رَضِيَ الله عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ– قال : " يُنَادِي الله بِالْعَبْدِ أَوْ يَأْتِي الْعَبْدُ أَوْ الْأُمَّة فَيُنَادِي الله فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ هَذَا فُلَان بْنُ فُلَان مَنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ عَلَيْهِ فَلْيُقْبِلْ إِلَيْهِ قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ تَفْرَحُ الْمَرْأَةُ أَنْ يَكُونَ لَكَ

4- البخاري (2441) (4685) (6070) (7514) ومسلم (2768)

الْحَقُّ عِنْدَ أَبِيهَا ، أَوْ ابْنَهَا ، أَوْ أَخِيهَا ، أَوْ زَوْجَهَا " ثمّ تلا قوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠١

موقف عظيم لكن بالرّغم من ذلك وأنّها حقوق مخلوقين أشّحاء ، و الأمر صعب جدّاً بين يدي الله ، ولا أريد أن أحدّثك عن تلك المحاكمة ، و العدل ، و الإنصاف الذي يكون في أرض المحشر ، و المقاصّة في الأموال ، و الأعراض ، و الدّماء لكن أريد أحدّثك عن كيفيّة التخلّص من ذلك عن كيفيّة التخلّص من ذلك ، فإنّ ربّنا شرع لنا علىٰ لسان نبيّه التخلّص من الذّنوب ، والتّوبة إلى الله علّام الغيوب لكن ذنوب فيما بيننا و بين ربّنا فيها التّوبة المعلومة بشروطها ، فكيف تتخلّص من حقوق المخلوقين في الدّنيا قبل الآخرة ؟ أمرٌ يغفل عنه كثيرٌ من النّاس ، و لا يلقي له بال كثير من الخلق و هو أصعب عليه فيما سوى ذلك عدا الشّرك بالله -رَبّ الْعَالَمِيْنَ- النّبيّ فتح الطّريق قال الإمام البخاري -رَحِمَهُ الله- : حدّثنا آدم بن أبي إيّاس قال حدّثنا بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة -رَضِيَ الله عَنْهُ وَأَرْضَاهُ- قال : قال النّبيّ -صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضٍ أَوْ شَيءٍ فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْهُ اليوم قَبلَ أَن لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَ لاَ دِرْهَم فَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ لِصَاحِبِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ حُمِلَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ عَلَيهِ » [5] إذن ، فيلتحلّل و في الطّبراني في رواية الطّبراني في لهذا الحديث قال النبيّ : «رَحِمَ الله امْرَءًا كَانَ لِأَخِيهِ عَلَيهِ حَقٌّ مِنْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ ، أَوْ غَيرَ ذَلِكَ فَتَحَلَّلَ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَ لَا دِرْهَمٌ » [6] ؛ رحمه الله .

5- البخاري (6534)
6- يشهد له ما قبله

فَتْح باب في التخلّص من الحقوق و العودة إلى الله بصدق نعم يا عباد الله ؛ ٱعلم أنّ هذا الشّرع الكريم جاء بكلّ خير و بركة و مهما وقعت فيه و أنت مسلم فإنّ له حلّا أن تتخلّص منه في الإسلام .

ٱنظر ؛ أخرج الإمام أبو داوود بسند يحسّنه شيخنا الإمام الوادعي عن عبد الله بن عمر – رَضِيَ الله عَنْهُ– قال : كان النّبيّ –صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ– إذا غنم غنيمة نادى أمر بلالاً فنادى من كان عنده شيء فليجيء به قال : فيأتي النّاس بما عندهم فيقسّمه رسوله الله و يخمّسه رسول الله قال : فجاء فنادى بلال فقسّم الرسول ما جاء فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر فقال : يا رسول الله هذا أصبته قال : أسمعت بلالاً ينادي ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال :« فَلَا آخُذُهُ مِنكَ لَأَنْتَ تَأْتِي بِهِ يَومَ القِيَامَة فَلَنْ آخُذُهُ عَنْكَ » [٧] نعم ، عباد الله ، الأمر خطير في الأموال ، و الدّماء ، و الأعراض ؛ أخرج الإمام مسلم عن عليّ بن عميرة –رَضِيَ الله عَنْهُ– قال : قال النّبي –صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ– :« مَن اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِيء بِقَلِيلِهِ وَ كَثِيرِهِ فَمَنْ كَتَمَ مَخِيطًا فَمَا فَوقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَومَ القِيَامَةِ » [٨] هذه موعظة ؛ قال : فرأيت رجلاً أسوداً من الأنصار قام إلى الرسول –صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ– فقال يا رسول الله : خذ عنّي عملك فقال : وَ مَالَك ؟ قال : يا رسول الله سمعتك تقول كذا و كذا قال : « وَأَقُولُهُ الآنَ : مَنْ كَتَمَ مَخِيطًا فَمَا فَوقَهُ فَلْيَأتِ بِهِ اليَوم فَإِنْ أُذِنَ لَهُ أَخَذَ وَ إِنْ نُهِيَ انْتَهَى » ترك الرّجل العمل ترك الرّجل العمل لأجل أن يتخلّص من حق المال ، و أن لا يأتي الله بأموال المسلمين كيف يقضيها من حسناته ، أو يحمل من سيّئاتهم ، و هكذا في الأعراض .

---

7 -

8- مسلم (1833)

أخرج الإمام بن أبي الدّنيا من طريق الزّهري عن أبي الدّرداء قال : جاء أبو الدّرداء على فرس إلى جارية له ترعى غنماً له فأمسكها الفرس و قال : لا يفلتنّ عليك الفرس فما أن ذهب أبو الدّرداء فإذا بالفرس ينطلق فيكسّر عامّة غنمه فأقبل أبو الدّرداء يحمل سوطاً في يده فلمّا وصل يشتدّ على المرأة على الجارية فلمّا وصل إليها قال : لولا القَوَدْ لأوجعتك ؛ بس أنا خائف ، أنا خائف ، ما ألقى الله و إذا بجاريتي ، و إذا بعبدي المملوك يريد أن يأخذ حقه منّي .

وأخرج الإمام بن أبي الدّنيا عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ- قال : جاء أبو هريرة إلى جارية له ورفع السّوط فقال : **(و الله و الله لولا القَوَدْ لأغشيتك إيّاه و لكن سأبيعك لمن ينقدني ثمنك كاملاً موفّى ، اذهبي فأنت حرّة لوجه الله)** خائف أن تلقى تأخذ حقّها منه .

بل في صحيح مسلم عن أبي مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ- أنّه غضب على غلام له و من شدّة غضبه جعل الرّسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- يتكلّم ، و أبو مسعود لا يدرك من شدّة الغضب فسمع كلاما فيه : « اعْلَم أَبَا مَسْعُود ، اعْلَم أَبَا مَسْعُود ، اعْلَم أَبَا مَسْعُود » قال : فالتفت فإذا به رسول الله ، « اِعْلَم أَبَا مَسْعُود : لله أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الغُلَام » فعند ذلك جاء الوجه للتخلّص من حق هذا الغلام فقال للغلام : اذهب فأنت حرّ لوجه الله فقال : النّبيّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَعلَىٰ آلهِ وسَلَّمَ - : « لَو لَم تَفعَلْ لَفِحَتْكَ النَّارُ ، لَفِحَتْكَ النَّارُ » [9] و أخرج الإمام التّرمذيّ و غيره عن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أنّ أعرابيّاً جاء إلى النّبيّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- فقال : يا رسول الله إنّ لي أعبُدًا أنا أملكهم إنّ لي أعبدا يخونوني ، و يكذبوني ، و يعصونني ، و إنّي يا رسول

9- مسلم (1659)

الله أضربهم ، و أشتمهم فمالي؟ و مالهم يا رسول الله ؟ كيف تكون المحكمة بيني و بين هؤلاء ؟ فقال رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- « يُحْسَبُ » ، يُحسب ، من المحاسب ؟ الله ، « يُحْسَبُ مَا ضَرَبْتَ ، و مَا شَتَمْتَ ، و يُحْسَب الْكَذِبُ ، والْخِيَانَةُ ، و الْعِصْيَانُ مِنْهُمْ فَإِنْ فَضُلَ لَكَ فَضْلَةً أَخَذْتَ » الفضلة باقي لك شيء أخذته ؟ « وإِنْ فَضُلَ لَهُمْ لِعَبِيدِكَ بَقي لَهُمْ شيء أَخَذُوا الْفَضْلَ ، وإِنْ كَانَ سَواءٌ بِسَواء فَلَا لَكَ ولَا عَلَيك » فولّى الرّجل يبكي فقال : النّبيّ -صَلَّىٰ الله عَلَيهِ وَعلَىٰ آله وسَلَّمَ- « أَمَا تَقْرَأُ القرآن ؟ » [10] ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧ و إذا بذلك الأعرابيّ يسلك طريق التخلّص فقال : يا رسول الله هم أحرار لوجه الله . أخرجه التّرمذي محسّناً له و مستغرباً و قوّاه الإمام الألبانيّ -رَحِمَهُ الله- هذا طريق التخلّص أمّا الدّماء إذا تجاوزت في دم مسلم هناك باب التخلّص قبل أن تقدم على الدّم فتتذكّر الحساب فترجع و تؤخّر أقدامك ، و ترجع القهقرى و لو أخذ عليك جميع مالك ، أنظر الى السّيد المبارك سبط رسول الله وريحانة رسول الله و سيدّ شباب أهل الجنّة الذي أثنى عليه الرّسول بالسّيادة : « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ » [11] كيف كان في باب الدّماء و كان سلفاً عظيماً في الأمّة الإسلاميّة لا لأجل شيء خوفاً من الدّماء عند الله ، قال الإمام بن سعد حدّثنا عليّ بن محمّد قال : حدّثنا إبراهيم بن محمّد عن زيد بن أسلم قال : دخل رجل على الحسن بن عليّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- و بيده رقعة يقرأ فيها فقال : ما هذه يا حسن قال : هذه من معاوية يعد فيها و يتوعّد ، فقال الرّجل : لقد كنت علىٰ النّصف من ذلك قال : (أَجَلْ وَلَكِنِّي خَشِيتُ وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْتِي ثَمَانُونَ أَلْفاً أَوْ سَبْعُونَ أَلْفاً أَوْ أَقَلّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ

10- المشكاة (5494)
١١- البخاري (٣٧٤٦)

أَكْثَر كُلّهُم يَستَعِدي الله فِيمَا أَهريق دَمُهُ) ، أنا خائف من هذا اليوم أخاف يأتي سبعون ألف ثمانون ألف نفس من جنود الحسن ، و من جنود معاوية -رَضِيَ الله عَنْهُمْ- جميعاً يقول : يا ربّ ما ذبحوني ؟ فمن أجل هذا ترك ذلك -رَضِيَ الله عَنْهُ- و سند الأثر حسن .

طريق التخلّص : التوبة إلى الله ، إذا و قعت في ذنب في حق أخيك المسلم هناك طرق بالتّوبة و الرّجوع . نسأل الله التوفيق و أستغفر الله لي ولكم إنّه غفور رحيم .

الحمد لله ،حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه ، و أشهد أن لا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله ،

أمّا بعد : فإنّ التّوبة إلى الله و التخلّص من حقوق الله و حقوق عباده باب مفتوح لا يغلق حتّى تطلع الشّمس من مغربها ، أو تغرغر أنفاسك و تطلع روحك من جسدك ؛ فاظفر و أنت حي ممتلئ تسير ، و تمشي ، و تكسب ، ٱظفر بالتوبة ، و الرجوع إلى الله ؛ فإنّ بابه مفتوح يوشك أن يغلق دونك أسرع و عجّل .

أخرج بن أبي شيبة و غيره من طرق لمجموعها يحسّن الأثر إن شاء الله ، عن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال : **(حَاسِبُوا أَنْفُسَكم قَبْل أَنْ تُحَاسَبوا وزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَن)** . فحاسب نفسك إنّك إذا جئت يوم القيامة وجدت هذا يستعد الله عليك في عرضك ، و هذا في سبّك له ، و هذا فيمال أخذته و هذا في شتم شتمته ، و هذا في هتك هتكته ، و هذا في مال أخذته ، و هذا في دم أهرقته و إذا بالخصماء كثير ، و إذا بك تدفع بالحسنات إذا كان لديك حسنات فلمّا انتهت لديك الحسنات و أصبحت فقيراً مدقعاً فإذا بالسّيئات تنهال ، أعمال ما ٱقترفتها و ذنوب ما ٱجترحتها و سيئات أنت أنت لم تفعلها فإذا بها تحمل عليك فاتّق الله ، و أصلح شأنك اليوم قبل أن تأتي الغد و أنت في هذا الحال المزري نسأل ربّنا السّلامة و التوفيق .

عباد الله ، التوبة قال ربّنا في كتابه الكريم : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ النور: ٣١ يا أيّها الذين آمنوا توبوا ألى الله توبة نصوحاً أنت ، أنت ، أيها المؤمن ، أنت يا من استكمل إيمانه يأتي أبو بكر إلى النّبيّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- كما في الصّحيحين فيقول : يا رسول الله علّمني دعاءاً أدعوا به في صلاتي قال :

قل : « اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنتَ فَاغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيم » [12]

ظلماً كثيراً ، ظلماً كثيراً ! هذا يقولها أبو بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فكيف لا يقولها من سفك دماء المسلمين ؟ و كيف لا يقولها من أتلف أموال المسلمين ؟ و كيف لا يقولها من انتهك أعراض المسلمين ، انتبه ! عد عمّا قريب يقول يقول الإمام النووي : (**اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى وُجُوبِ التَّوْبَةِ وَأَنَّ وُجُوبَهَا عَلَى الْفَوْرِ لَا عَلَى التَّرَاخِي**) ، أي يجب على كل مسلم أن يتوب و لا يؤخّر توبته لحظة و لا ساعة و لا أكثر من ذلك و لا أقلّ ، قال الإمام بن القيم: (**فَإِنْ أَخَّرَ التَّوْبَةَ إِحْتَاجَ إِلَى تَوْبَتَيْنِ: تَوبَةٌ مِنَ الذَّنْبِ وَتَوْبَةٌ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ**) قال : (**وَلَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ تَوْبَةً عَامَّةً مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ الَّتِي عَلِمَهَا وَالَّتِي لَمْ يَعْلَمُهَا**)

كيف تتوب ؟ كيف تتوب من الدّماء ؟ كيف تتخلص من الدّماء ؟ للعلماء خلاف في ذلك، قال الإمام بن القيم رحمه الله: (**وَالتَّحْقِيقُ فِي ذَلِكَ أَنَّ فِي الدِّمَاءِ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ**)

- **الأول:** حقّ الله
- **والثاني:** حقّ وليّ المقتول
- **والثالث:** حقّ للمقتول

فأما حق الله فيسقط بالتوبة ، و التوبة يا عباد الله الاستغفار فتستغفر الله بلسانك و حالك و تتوب إلى الله و الرجوع و الإنابة .

12- البخاري (834) ومسلم (2705)

والشّرط الثاني: النّدم التام، يقول النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعلىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- : « النَّدَمُ تَوبَة » [١٣]

و الشّرط الثّالث : الإقلاع و عدم المعاودة إلى الذّنب هذا في ما بينك و بين الله . و أمّا بينك و بين المخلوقين ، فالتحلّل من المخلوق نفسه إذًا فحقّ القتل أولا تتوب إلى الله، و توبتك أن تأتي فتقول لأهل المقتول : ها أنا ذا ، قتلت صاحبكم و ها هي رقبتي مسلّمة ، لا خوفاً منكم و لا فَرَقاً و لكنّي أخاف الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فإنّ صدق في التّوبة سقط حقّ الله، لا يسألك عنه في الآخرة ، و أمّا حقّ أولياء المقتول فلهم طرق: إمّا المقاصّاة فتُقصّ رقبة برقبة و إمّا الصّلح و لو بأكثر من الدّية و إمّا العفو، فإذا حصل واحد من الثلاثة انتهى الحق ، بقي حق المقتول الّذي سفكت دمه و الذي يستعدي الله عليك في أرض المحشر ويأتي وأوداجه تشخب دماً فيقول: يا ربّ ، سل هذا لَمَ قتلني ؟ و يعترضك عند باب الجنة فيقول : يا ربّ لا يدخل الجنة هذا قتلني ، حتّى يُؤخذ الحق منك ، إذن بدلاً من تلك المضايقة، ربّك إذا صدقت في التوبة ، و التخلّص يعطي المقتول من الحسنات ما يرضى به عنك فتصير توبتك مقبولة، و حقّ المقتول يسقط بما يعطيه الله من جناب كرمه و فضله و جوده و إحسانه ، هذه توبة الدّماء فلا تُخفي نفسك على الله فإنّ الله يعلم السرّ و أخفى، قد تخفى على النّاس و لكن ربّك يعلمك و يعلم فعلك و مقرّك ثم يأخذك أمام الأولين و الآخرين.

أما الأموال، فقد علمت أن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- قال : « إنَّ دِمَاءكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيكُمْ حَرَام » [١٤] ، « الْمُسْلِمُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ وَ مَالُهُ

13- صحيح الجامع (6802)
14- البخاري (1652- 1654) مسلم (1679)

وَعِرْضُهُ » [15] فكيف تتخلّص من المال الحرام ، المال الحرام ، يقول النّبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- كما في مسند أحمد عن أبي حرّة و الحديث حسن لغيره بشواهده ، قال : « لَا يَحِلّ مَالُ امرِئ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبٍ مِنْ نَفْسِهِ » [16] كيف تتخلص ؟ أخذت نعلاً ، أخذت قلماً ، أخذت شيئاً يسيراً أو شيئاً كبيراً ، شيئاً قليلاً أو شيئاً كثيراً كيف تتخلص ؟ التوبة بشروطها المسبقة ، ثم كيف تتخلص من حقّ المخلوق هذا ؟

الأموال ثلاثة:

الأوّل: مال أُخذ من صاحبه ظلماً و عدواناً ، بالسرقة ، بالنّهب ، بالطّغيان ، بأي أمر آخر من أو أمر الظلم والقهر ، كيف تتخلص ؟

أوّلاً : تبحث عن صاحب الحقّ فإذا وجدت صاحب الحقّ قلت له :خذ هذا حقّك وذمّتي برئت منه عند الله في الدّنيا والآخرة ، ليس عند مال ؟ قلتَ له : أنا أخذتُ مالك وليس لدي ما أقضيك اليوم فخذ منّي سنداً أتخلص به في دنياي وآخرتي . هب أنه غضب ، هب أنه قال في الدنيا شيئاً ، الأمر أصعب أن تُفضح أمام رجلٍ واحدٍ أو أمام حارة ولا تُفضح أمام الأوّلين والآخرين فتُأخذ الحسنات وربّما يُزجّ بك إلى النّار ، نعم هذا حقّك ، فبحثت عن الرّجل فرضاً فلم تجده ، غاب فضاع أو مات ، ذهب أمره واندثر ذكره ، هنا تبحث هل عليه دَين ، وتعلم أنّ عليه دين فتذهب تقضي دينه ، ما علمت أنّ عليه دين ؟ تذهب تبحث عن ورثته ، هل له ورثة ؟ فإن كان له ورثة أعطيت ورثته ، فإن لم يكن له ورثة و غاب عنك أمره كليّاً هنا تضع المال في بيت مال المسلمين إن كان بيت المال منتظماً ، فإن لم يكن كذلك نظرت في الفقراء والمساكين ومحاويج المسلمين ومصالح المسلمين ، فوضعت ذلك المال فيه وعند الله يأتي الجزاء ، أخرج الإمام البيهقي عن عبد

15- مسلم (2564)
16- الإرواء (281/5)

الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنّه اشترى جارية ودخل إلى البيت لِيَنْقُدَ لصاحبها المال ، فخرج فلم يجد الرجل ، فذهب يبحث عن الرجل فلم يجده فقال : (**اللَّهُمَّ هَذَا مَالُ صَاحِبِ الْجَارِيَةِ وَهَاهُوَ صَدَقَةٌ فَإِنْ شَاءَ أَخَذَهُ فَلَهُ وَإِلَّا فَحَسَنَاتُهُ لِي ، وَيَأْخُذُ حَقَّهُ عِنْدَ اللهِ**) -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لا نعم عباد الله لا ، افترض أنّ صاحب الحقّ جاء بعد ما تصدقت بحقه ، هنا أنت تخيره بخيارين فتقول له : أنفقتُ مالك صدقة فإن شئت : الصّدقةُ لك ، وإن شئت أن تأخذ مالك فها هو مالك ، تُعطيه ماله والصدقة تعود لك ، هذا المال المأخوذ ظلماً .

أما المال المأخوذ و قد جُهل أمر صاحبه ، أخذته في مُجمع لا تدري لمن هو ، مرّت عليك سيّارة فأخذت منها بطانية أو أخذت منها شيئاً كثيراً أو قليلاً ، أخذت نعلاً ، سبقت يدك فأخذت شيئاً لا يحلّ لك ، كيف تتخلّص منه ؟ لا تعرف صاحبه ، هنا مباشرة تذهب فتنفق المال على الفقراء أو المساكين أو مصالح المسلمين ، ليس لك فيه أجر ، أجره يكون لصاحبه ، لكن صاحبه يُجهل ، هنا يكون الأجر يصل إلى صاحبه حيثما كان ، أخرج الإمام بن المنذر و سُنيد في ما نقله بن عبد البرّ -رَحِمَهُ الله- أن رجلاً جاء إلى معاوية ، فقال : خذ مني هذا فلقد أخذته من المغانم قبل أن تُقسم ، فقال معاوية : كيف أصنع به و قد تفرّق النّاس ولا أعلم الجيش ؛ أنت أنت تأتي به عند الله ، لا أقبله منك ، فجاء الرّجل ، خرج فوجد عبادة بن الصّامت فقال يا عبادة الأمر كذا وكذا ، قال اذهب فأعط معاوية الخمس ، وما بقي من ذلك فتصدّق به فإن الله يعلم أهله وتصل أجور ذلك إلى أهله حيثما كانوا .

نعم تتخلص ، فإن كان المال ليس ظلماً ، ولا مجهولاً صاحبه ، ولكنّه مأخوذ بطريقة محرّمة ، كالرّبا وبيع أشرطة الأغاني والدشّات ، والرّشوة وما أشبه ذلك من الأمور المحرمة ، كبيع الخمر ، والخنزير ، وإيجار البيت على أهل الذنوب والمعاصي الذين يجعلون ذلك

المكان محلّا للمعصية المعلومة ، فهذه أموال محرمة أُخذت بمقابل ، كيف تتخلص منه ؟ هل تعيده إلى أهله ؟ الجواب : لا ، فلا يُجمع لهذا العاصي بين التمتّع بالمعصية و إرجاع المال إليه ، ولكن بالإنفاق في أوجه الخير ، وفي محاويج المسلمين ، ومصالح المسلمين ، ولا شيء لك من الأجر فإن الله طيّب لا يقبل إلّا طيّباً ، عندك ملايين من الرّبا ، أشرع وأفضل ما تفعله أن تتخلّص قبل أن تموت وأن تنتهي قبل أن تُزهق الروح اليوم قبل الغد وتنفقها في مصارفها العامّة للمسلمين ، والله المستعان ، عجّل لا تتأخّر أيها المسلم ، هذا في الأموال .

أما الأعراض ، فإن الرّسول شدّد في الأعراض أيّما تشديد ، أدلّة كثيرة ، « وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا ٱسْتِطَالَةُ الْمُسْلِمِ فِي عِرضِ أَخِيهِ » ، و عن أسامة بن شريك عند أبي داوود و خرّجه شيخنا الإمام الوادعي في الصّحيح المسند أن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- سُئل في الحج عن تقديم و تأخير ، فقال : « لَا حَرَجَ لَا حَرَجَ ، الَّذِي حَرِجَ وَهَلَكَ ، الَّذِي حَرِجَ مِنْ اقْتَرَضَ عِرْضَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ ذَاكَ الَّذِي حَرِجَ ، ذَاكَ الَّذِي حَرِجَ وهَلَكَ » ، فانتبه لا تستسهل ، لا تستسهل أن تتمادى في أعراض المسلمين ، لا تستسهل أن تلقى الله فيلقاك غيرك يأخذ أجر صلاتك ، ويأخذ أجر صيامك ، ويأخذ أجر صدقاتك وإذا بك تُسحب على وجهك إلى النّار ، لا تستسهل الأعراض ، كيف تتخلص ؟ مع التوبة السّابقة أضف التّحلّل ممّن اغتبته وممّن انتهكت عرضه ، أنا اغتبتُك أرجو منك العفو ، وهذا الباب كثيراً ما تطيب النّفوس بالسّماحة وبالعفو في الدّنيا فتحفظ عليك كنوزاً من حسناتك ، بكلمة واحدة عفا الله عنك ، نقل الإمام بن الملقّن الإجماعَ على أنّ من استحلّ مسلماً عرضَه فقد برئت ذمّته وسقط حقّ المُغتاب ؛ وأنت عندما تُستحَلّ على وجهين ، وهي للسّلف وجهان:

الأوّل: المُسامحة و العفو ، وهذا بابه واسع ، فعله القاسم وفعله جماعة من السّلف منهم شيخ الإسلام بن تيميّة و شيخنا الإمام الوادعيّ ، حلّ العرض والتنازل عنه لكلّ من هبّ ودرج وابتغاء الأجر عند الله .

والمذهب الثاني: وهو مذهب جماعة من السّلف وعلىٰ رأسهم الإمام بن سيرين ، ففي طبقات بن سعد أن أقواماً جاءوا إليه فقالوا : يا بن سيرين ، أو يا محمّد ، لقد نلنا منك فاجعلنا في حلّ ، فقال-رَحِمَهُ الله- : **(لَا ، كَيْفَ أُحِلّ لَكُمْ مَا حَرّمَ الله عَلَيْكُمْ)** .

هذا حقّ لك أن تحتفظ بحقّك ، فإذا كان الذي اغتبته والذي نلت من عرضه لا يُسامحك كيف الخلاص ؟ أذكره بالخير في المكان الذي ذكرته فيه بالشرّ ، وأثن عليه بالثناء الحسن في المقام الذي نلت فيه من عرضه ، ثم استغفر له و ادعُ له ، ثم أكثر من الحسنات فإذا جاء يطلبك يكون لك رصيداً تستطيع أن تخلّص منه من طلبك بحقه .

يا عباد الله ، يا عباد الله ، يا أمّة محمّد ، إنّنا جميعاً لا نخلو من هذه الحقوق ، و من قال لك أنا لستُ كذلك فقد كذب ، فإنّ الحقوق تأتي كثيراً لا سيّما في الأعراض ، لا سيّما في الأعراض فقلّ من يسلم من أعراض المسلمين ، لكن باب التّوبة مفتوح لمن أراد الرجوع ولمن أراد التخلّص ، وهكذا في الأموال إن كنت ممّن ضعفت نفسك أو هانت لديك وضعفت واسترقّها الشّيطان أمام شهوة المال الذي هو فتنة هذه الأمة فلك التخلّص بالتوبة على ما سمعت ، أما الدّماء فأمرها أعظم وأجلّ فهي أول ما يُقضى فيه بين العباد ممّا يحصل بينهم من الخصومات ، ألا فيا عباد الله فلنقبل على الله ولنستغفر الله ولنتب إلى الله واعلموا أنّ التّوبة واجبة بالإجماع فلا تتأخّر فترتكب ذنب التأخير ، نسأل الله بمنّه وكرمه وفضله وإحسانه ، أن يوفّقنا للتخلّص من حقوق العباد ، اللّهمّ وفّقنا للتخلص من حقوق عبادك اليوم قبل الغد ، اللّهمّ إنّا نسألك الهدى والتّقى والعفاف والغنى ، اللّهمّ إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل ولا تجعل معاصينا حائلة بيننا و بين طاعتك ،

وبيننا وبين رضوانك ، وبيننا وبين جنّتك ، إنك على كل شيء قدير ، ولا حول ولا قوة لنا إلّا بك، والحمد لله -رَبِّ الْعَالَمِيْنَ- .

تفريغ فريق موقع علماء و مشايخ الدعوة السلفية باليمن

www.OlamaYemen.com